رؤيتي وخبراتي على طريق تعلم اللغة العربية وتعليمها خلال ستين عاماً في نيجيريا وخارجها

أ.د عبد الرزاق ديريمي أبوبكر - نيجيريا

أستاذ بلاغة القرآن للدراسات العليا بقسم اللغة العربية بجامعة إلورن
والمدير الأسبق لجامعة الحكمة

- حصل على الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة لندن عام ١٩٨٠م.
- رئيس الجمعية النيجيرية لدراسة الأديان ١٩٨٧-١٩٩٣م.
- رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في نيجيريا.
- رئيس مجلس إدارة كلية التربية في ولاية أويو، نيجيريا ١٩٨٦-١٩٨٩م.
- عميد كلية الآداب، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا ٢٠٠١-٢٠٠٣م.

بدأت تعلم اللغة العربية من والدي الشيخ حمزة أبوبكر منذ نعومة أظفاري، وواصلتها في المرحلة الابتدائية الحكومية الانجليزية كدرس إضافي بين ١٩٥٥-١٩٦٠م، ثم التحقت بمركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي على مؤسسه الشيخ آدم عبد الله الإلوري (١٩١٧-١٩٩٢م) أزكى تحيات وسلامات من الله الرب الغفور.

الدافع الأصيل هو حبي للغة العربية ورغبتي أنا ووالدي في إتقانها للغرض الأساسي ألا فهو فهم الدين الإسلامي أصوله وفروعه وودي العميق من بادئ ذي بدء في الجمع بين إتقانها وإتقان اللغتين الانجليزية واليوربوية. وإنه لمن اعتقادنا-أنا ووالدي-أنه لا يمكن للعبد أن يقدر الخالق حق قدره بدون إتقان اللغة العربية خصوصا بلاغتها التي بها تعرف حقائق التنزيل ومزاياه فبتلك النية بدأت تعلم اللغة العربية لوجهه الكريم.

وقد استغرق تعلم اللغة العربية من البدء حتى الإتقان سبع سنين بالنظر إلى المستوى الثانويّ وتليه السنوات في المراحل الجامعية إلى حصولي على الدكتوراه. قضيت أربع سنوات بالمركز المذكور أعلاه حيث تخرّجت بتقدير ممتاز، وسنتين بجامعة إبادن، نيجيريا للحصول على الشهادة الجامعية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية بتقدير ممتاز، وثلاث سنوات للحصول على الليسانس في اللغة العربية وآدابها بجامعة إبادن بتقدير ممتاز، وأتممت الدراسة بجامعة لندن بالحصول على الدكتوراه في الأدب العربي بعد ثلاث سنوات عام ١٩٨٠م بدون الاحتياج إلى الحصول على الماجستير قبله بفضل تقدير الامتياز الذي نلته في الليسانس.

وأما الطريقة التي تعلمت بها اللغة العربية فمبلغ التعلم الموجود في المرحلة الابتدائية الانجليزية الحكومية محدود قصير جدّا بالمقارنة مع مدى الأوقات الموضوعة للمواد الأخرى دون العربية والدراسات الإسلامية؛ الأمر الذي جعل

التلميذ الخريج من هذه المرحلة يشبه المسافر لا أرض قطع ولا ظهر أبقى. فمن ذلك ألحقني والدي بمركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي؛ المدرسة النظامية لها المراحل الإعدادية والتوجيهية؛ حيث وضع التلاميذ في مجموعة واحدة تناسب أعمارهم ومستواهم في الفهم والمدارك. واتفقت طريقة التدريس فيها بالموجودة في بلاد العرب من حيث المنهج وكتب المقررات وإسهام المبعوثين الأزهريّين والآخرين من المدارس الأجانب العرب منهم والأفارقة في تعليم العربية. كان نظام الفصول الدراسية ينسجم مع الموجود في المدارس الحكومية الثانوية من حيث تحديد المدة الدراسية ووجود الملابس الخاصة للطلبة والطالبات. وبناء الرواق للطلبة مع أثاثات السكن الحديثة. فمن وسائل التعليم وجود السبورة الواسعة للتدريس، ومنها إعلانات مفيدة على جدران المدرسة. أما في رحاب الجامعة بإبادن ولندن فالامتياز في تقسيم المراحل وتنظيم الصفوف واختيار المناهج والمواد على المستوى الدولي والأساتذة المشتغلة فيها أكفاء مع الخبرات العلمية والعملية والإنتاجات الأكاديمية العولمية، وكان تفاعل الطلاب في جميع المراحل مع دروس اللغة العربية إيجابية بفخر واعتزاز؛ لأن صوت النطق العربي رنان والأغلبية الساحقة من السكان مسلمون يقدرون جهود الطلاب في تعلم لغة القرآن ولغة الرسول ولغة أهل الجنة في الجنة.

وكان أبرز الصعوبات التي واجهتها واقعا عند المرحلة قبل المرحلة الجامعية وهو الفقر والفاقة؛ لأن الدراسة آنذاك لم تضع للطلبة مجال الاغتنام بالمنحة الدراسية رغم أني تخرجت منها بالدرجة الممتازة ، وكان والدي رحمه الله تاجرا كان يقطع الفيافي في تجارته من الجنوب الغربي في نيجيريا إلى الشمال، وقد يستغرق رحلاته غالبا عدة شهور قبل العودة إلى الوطن الحنون؛ الأمر الذي جعلني غالبا منقطعا من الفلوس. أما المواقف الطريفة التي مرت عليّ أثناء جولاتي في طلب علم اللغة العربية في بقاع العالم فأبرزها حصولي على المنحة الدراسية والتمويل الأكاديمي في جميع أيامي

الجامعية في نيجيريا وإنجلترا وزيارتي إلى ألمانيا مرات فمرات، ويوم حصلت على الدكتوراه في لندن ويوم قدمت المقالة بعنوان» التعليم العربي في الجامعات النيجيرية عامة وبلاد اليوربا خاصة» في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية؛ وذلك على حساب المملكة الخاص، ويوم ألقيت المقالة حول تنظيم الحجّ في ندوة الحج الكبرى عام ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠١٦م ونشرت الجرائد وعدة وسائل الإعلام آرائي واقتراحاتي وصور شخصيتي المتواضعة، ويوم رشحت مديرا لجامعة الحكمة جامعة إسلامية خاصة والدراسة العربية راسخة فيها، ويوم عينت مفوضا للحكومة النيجيرية الفدرالية لمفوضة الشكاوى، وأيام إشرافي على أكثر من خمسين رسالة علمية للماجستير والدكتوراه، وأيام لقائي مع الطلاب للمناقشة بصفتي ممتحنًا خارجيًا للطلاب في جامعات أخرى في نيجيريا وخارجها.

قد اتّضح جليا مما سبق أن إتقاني للغة العربية قد أثر عليّ تأثيرا مفيدا مفتخرا به ومسرورا عليه، ولا تكون مشاعري بعد إتقان اللغة العربية إلا الاغتباط والشكر للمولى الجدير بالشكر كلّه؛ ولولاه لما أدرك أسرار البلاغة الكامنة في التنزيل الحكيم والأحاديث النبوية، ولا يتاح لي فرصة الدراسات التقابلية بين هذه اللغة واللغات العجمى.

وأما مقارنة تجربتي في تعلم اللغة العربية وتعلم اللغتين الإنجليزية واليوباوية فأقول إن تعلم اللغة العربية أصعب من تعلم اللغتين اليوباوية والإنجليزية بالذات وبالكيف، إنه لمعلوم أن اللغة العربية بحروفها المطبقة حيث تجد أن التاء كالطاء إلا أن الطاء مطبقة، والدال كالضاد إلا أن الضاد مطبقة، والذال كالظاء إلا أن الظاء مطبقة، والسين كالصاد إلا أن الصاد مطبقة، والعين والغين نادرتان وجودهما في اللغات غير العربية. ويضاف إلى تلك تغيّر حركاتها على الأسماء والأفعال وتناسب الحروف في الإيصال بين أجزاء الكلام وقواعدها الراسخة وعروضها الموسيقى وقوافيها

بحدودها وأسماؤها وحركاتها وعيوبها لما جعل اللغة العربية أثقل أن تحمل وأوسع أن يحاط بها. لكن هذه الواقعة أصبحت غنيمة لي عند ما أدرس اللغة اليوربوية لغة الأم بالنسبة لي واللغة الانجليزية-اللغة الرسمية- كشيء من التراث الاستعماري في هذه البلاد. فأصبحت -والحمد لله- أتقن اللغتين فوق بعض المتخصصين فيهما في المجامع الأكاديمية. وأشد إتقاناً من بعض المراهقين لهما؛ الأمر الذي جعلني مستعدا للاندماج في خدمة الوطن والدين واللغة ونيل الحقوق المسروقة من المسلمين، فباللغة الإنجليزية نشرت أكثر من سبعين بحثا علميًّا محكمًا في المجلات والدوريات المتخصّصة عن المسائل الإسلامية والقضايا العربية لغة وأدبا ومن المؤلفات: نظرات في البلاغة العربية: البيان العربي ١٩٨٩م، الأبعاد اللغوية في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اليوربوية منشور بألمانيا والولاية المتحدة الأمريكية وسويسرا عام ١٩٨٦م، الأدب الأفريقي العربي ١٩٩٥م، نموّ العربية في مناخ صعب ٢٠٠٢م، وجوه التفاعل بين الثقافة العربية واليوربوية في جنوب نيجيريا الغربي عام ٢٠٠٤م ولها فوق ست مائة صفحة، هذا بالإضافة إلى إنتاجاتي الأدبية واللغوية الأخرى المكتوبة باللغة العربية النشورة في المجلات العلمية المحكمة.

وكذلك تساعدني تلك الخلفية الطيبة في اللغات الثلاث أن أكون رئيسا للجنة المكوّنة قبل سنتين لإنعام النظر في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا العمل الذي قام به عدد من عيون العلماء في هذه البقعة من الأرض أمثال: الشيخ آدم عبد الله الإلوريّ (١٩١٧-١٩٩٢م)، والشيخ كمال الدين الأدبي(١٩٠٥-٢٠٠٥م)، والشيخ برهان الدين السنوسي وغيرهم؛ ذلك على نفقة الملك فيصل بن عبد العزيز طبعا ونشرا مجانا في العقود الثلاثة في آخر القرن العشرين الميلاديّ.

وفيما يتعلق بواقع تعليم اللغة العربية في نيجيريا فإن الصراع الدائم بين اللغة العربية والإنجليزية ما زال الاستعمار وخلفاؤه المبشرون المسيحيون يوقدون نار

العداوة والبغضاء بينهم وبين المسلمين ويدعمون تلك الحرب بفضول أموالهم. فأكثرية الكاثرة من السلف والخلف اعترفوا بفضل العربية على الانجليزية؛ لكنّ الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي جعل بعض المسلمين يؤثرون اللغة الانجليزية لجلب الفوائد الاقتصادية والسياسية. وعلى وجه المثال فإن الجامعات الفدرالية الموجودة في ربوع نيجيريا والتي أسسها الولايات في مناطق المسلمين يدرسون اللغة العربية والدراسات الإسلامية؛ لكنه قليل ما هم بالنسبة إلى الجامعات في الولايات المسيحية حيث لا ذكر للعربية ولا الإسلامية في مناهجهم الدراسية مع أنه واجب محتم على الجامعات في الأراضي المسلمة أن تدرس معظم دروسهم باللغة الانجليزية. فإضافة إلى هذا الجور فإن الجامعات الخاصة دون الحكومة الفيدرالية أو الولاية تسعون من الألف منها مؤسسوها مسيحيون فلا مجال لتعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية فيها.

فهذا الأمر مندرج من المرحلة الثانوية حيث تدرس جميع المواد باللغة الانجليزية حتى الدراسات الإسلامية وإلى الحد الأوفر اللغة العربية؛ ومن أجل ذلك أسس المسلمون الغيورون على دينهم المدارس العربية محضا أمثال: ملك كنو ومن شاركهم من الملوك وأسسوا مدرسة العربية والدراسات الإسلامية الشرعية ١٩٣٤م بكنو، والشيخ أحمد مصطفى أويلنجى المشهور بألفا زاكي (١٨٩٧-١٩٦٨م) ١٩٢٠م بلاغوس، والشيخ كمال الدين الأدبي بإلورن(١٩٠٥-٢٠٠٥م) ١٩٤٥م، والشيخ آدم عبد الله الإلوري(١٩١٧-١٩٩٢م) أعلم وأبرز علماء غرب أفريقيا في القرن العشرين علما وأدبا وتأديبا ونشرا للتراث العربي في ربوع العالم الذي أسس مركز التعليم العربي الإسلامي أغيغي ١٩٥٢م.

والآن لقد نال المسلمون حقوقهم من الحكومة الفدرالية اختيار المناهج والمواد التي تدرس باللغة العربية مما يتضمن جميع المواد الموجودة في المرحلة الثانوية، وكانت

شهادة الناجحين منها مقبولة للاشتغال في الأعمال الحكومية وغيرها وكما هي مقبولة للالتحاق بالكليات والجامعات للتقدم في التعلم. حصلنا على هذا الاعتراف نتيجة لأعمال الزعيم أحمد بلو الشهيد رئيس الوزراء في شمال نيجيريا أيام الديمقرطية الأولى في نيجيريا الذي شجع تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية تحت سيطرته وحركات العلماء الحساسة شمالا وجنوبا في بناء المدارس العربية والإسلامية في البلاد، والشهادة الثانوية العربية والإسلامية تمنحها الهيئة الأهلية للغة العربية والدراسات الإسلامية NBAIS وأنا عضو منها.

وأما أبرز التحديات التي تواجه تعليم اللغة العربية في نيجيريا فقد كان المسلمون من البداية إلى الأمس على سلوكهم كما أمرهم الله جلت قدرته، يتعاونون على البر والتقوى؛ فمن أجل ذلك نجد النتائج من حيث تمويل الإخوان المؤمنين على سبيل تطور اللغة العربية التي بها تتبيّن حقائق التنزيل وتفهم الشريعة أصولا وفروعا يبنون المساجد والمدارس والمعاهد والكليات والجامعات في سائر بلاد المسلمين عامة وأفريقيا المسلمة خاصة.

ولكن قبل انتهاء القرن السابق وبداية القرن اللاحق به حتى الوقت الراهن اشتعلت نار الإرهاب على سفينة العولمة حيث الحكومات المسيطرة الأمريكية والأوروبية مع غيرتهما المسيحية، يجعلون كل عمل خيري نحو الإسلام والمسلمين ولغة القرآن والحديث دعما للإرهاب، فنتيجة تلك الخطورة أن التقهقر والرجعية تحلفان الحركات في تطوير تعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في هذه الديار.

وعلى وجه المثال أنا وبعض الإخوة الشباب المسلمين العاملين أتينا فكرة بإذن الله فكرة إنشاء جامعة إسلامية خاصة؛ حيث تنال اللغة العربية والدراسات الإسلامية نصيب الأسد في منهجها واتجاهها، وتقع هذه الجامعة في مدينة إيوو ولاية أوشن في أوساط جنوب نيجيريا الغربية. ولقد وصلت مباني للكليات والفصول والمسجد

وسكن الطلاب والطالبات إلى ستين في المائة تقريبا؛ ولكن الفتنة الاقتصادية التي دامت لدى الحكومة النيجيرية وأفرادها سبب وقوف العمل على المشروع وعدد الطلاب والطالبات الراغبين الإلحاق بالجامعات يزداد عاما تلو آخر، ولولا الخوف من جواسيس الإرهاب لوجدنا من يدعّم هذا العمل الخيري للجيل الناشئ في المستقبل العاجل بإذن الله؛ لعل الله يجعل للمسلمين الأثرياء في العالم الإسلامي يلفتون أنظارهم إلى هذا المشروع حتى يكتب الله له النجاح.

وبإذن الله وبعونه أصبح مستقبل تعلم اللغة العربية في نيجيريا زاهرا حيث تشهد لها حركات حساسة من جهة التعليم والتثقيف وإسهامات مدرسي اللغة العربية وطلابها في عدة مؤتمرات وندوات وحلقات علمية متخصصة في أنحاء العالم الأكاديمي العربي كما ينظمون نفس الشيء في الجامعات النيجيرية و كلياتها التربوية يساهمون معهم زملاؤهم من جميع البلاد حيث توقر اللغة العربية. فبذلك التعاون وقع إصدار المجلات العربية المحكمة تنشر بحوثا علمية حول اللغة العربية وبالعربية؛ وذلك في نيجيريا وخارجها. والطلاب أحرار أن يكتبوا بحوثهم في جميع المراحل الجامعية إما للحصول على درجة الليسانس أو الماجستير أو الدكتوراه بلغة عربية سليمة. وبدأنا ندرس الشعر العربي الإسلامي من جديد إذا أمعنا النظر في الدواوين المنشودة من أقلام أبناء يوربا خاصة ونيجيريا عامة وأدوار الآخرين في ترجمات التراث العربي إلى الانجليزي والعكس من ذلك وكيف تفشو في البلاد مؤلفات في المسرحية هذه الأيام وقول الشعر العربي في كل مناسبة دينية أو اجتماعية والمناظرات الجارية فطرة بين الطلاب والطالبات باللغة العربية وسعادتهم على استعمالها في السيارات والأسواق والبيوت والدهاليز.

وأقترح في سبيل تعليم اللغة العربية في نيجيريا أن يعود الإخوان الأكفاء في الثروة إلى نيجيريا لتدعيم تعلم اللغة العربية وانتشار الإسلام كما لم يزل المدعمون المسيحيون

ينفقون كل غال ونفيس في سيطرة لغتهم وانتشار دينهم وثقافتهم. فجامعة عناية الله بمدينة إيوو المنتظرة المذكورة أعلاه بحاجة ملحة إلى نوعية هذه المساعدة. وكذلك علمنا أن هناك أرضا بمدينة بيجى بالقرب من كنو عاصمة ولاية كنو في شمال نيجيريا الغربي منحها الحاكم الأسبق الزعيم إبراهيم شكراه لإنشاء جامعة إسلامية خاصة، أدركت ذلك إذ كنت رئيس اللجنة المكوّنة في تدبير الجامعة وتنسيقها للقبول لدى المفوضة النيجيرية للجامعات، فإنه لما يساعد تطوير تعليم اللغة العربية في هذه البقاع من الأرض بالكثرة نيل التدعيم الماديّ من الذين يهمهم أمر الدين واللغة والثقافة والاجتماعية، وعلى الله قصد السبيل.

وختاماً لقد بدأت تعلم اللغة العربية ابتغاء وجه الله الكريم وقد أحسن الله سبحانه وتعالى بي إذ أتاح لي فرصة علم اللغة الانجليزية بالرغم بأني لم أدرس تلك اللغة في المرحلة الثانوية بل حصلت عليها بصناعة النفس، فلا مفرّ من فهم تلك اللغة إلى جانب اللغة العربية بدون العكوف عليها وليس بإفراغ معظم الأوقات عليها حتى تأكل العربية كما تأكل النار الحطب؛ لأنها لغة الدفاع عن اللغة العربية وبيان خصائصها ولغة نيل الحقوق من المواطنين الظالمين منهم.

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language

٢٠

الأدلة والمعلومات

كيف تعلمت العربية؟

مجموعة من سير التعلم
لأعلام من الناطقين بغير العربية

تحرير: د. بدر بن ناصر الجبر

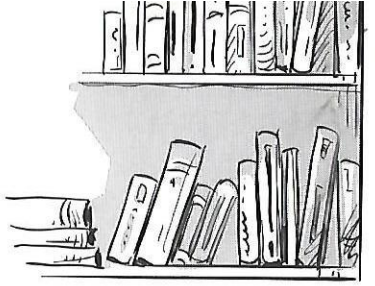

المشاركون:

- د. أبانغ حازمين (بروناي)
- د. بهاء الدين الندوي (الهند)
- أ. جاويد حفيظ (باكستان)
- د. حسين محمد بوا (أوغندا)
- د. حقار محمد أحمد (تشاد)
- أ.د. دينغ لونغ (يوسف) (الصين)
- أ.د. رجب شانتورك (تركيا)
- أ.د. رحمة بنت أحمد الحاج عثمان (ماليزيا)
- د. سعيد برهان عبدالله (جزر القمر)
- د. سعيد محمد بابا سيلا (مالي)
- د. عبدالرحيم شئت ثاي (بنين)
- أ.د. عبد الرزاق ديريمي أبوبكر (نيجيريا)
- د. عبد الكريم ديوباتي (غينيا كوناكري)
- أ.د. عبد الله محمد زين (ماليزيا)
- أ. عمر دكوري (بوركينا فاسو)
- أ. د. محمد بشير (المغرب)
- د. محمد هداية نور واحد (إندونيسيا)
- د. مصطفى حاجي (بلغاريا)
- د. ناصر حمد بكار (قيرغيزيا)
- أ. هريلمانا عبد الكريم (ماليزيا)

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language

ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa

978603 221181